رمزية مفردة "النهر" وإنتاجها الدلالي في مجموعة "عُكّاز الرّيح" للشاعر محمد البريكي

د.رسول بلاوي

جامعة خليج فارس، بوشهر – ايران

ملخص:

يُعدّ "النهر" من أبرز الرموز الطبيعية التي وجد فيها الشعراء دلالات وإيحاءات خصبة للتعبير عن أفكارهم ورؤاهم. هذا النهر يحمل في طياته طاقات رمزية توحي بالحياة والنماء والخصب من جانب، وبالاغتراب والاستلاب والحزن من جانب آخر وذلك حسب السياق التي ترد فيه هذه المفردة. ومن الشعراء الذين وجدوا في هذه الظاهرة الطبيعية طاقات تعبيرية موحية هو الشاعر الإماراتي محمد عبدالله البريكي، فقد أحسن استخدام هذه المفردة في ديوانه الموسوم بـ: عُكّاز الريح". هذه الدراسة التي اعتمدت في خطتها على المنهج الوصفي – التحليلي، ترصد مفردة "النهر" ودلالاتها في تجربة البريكي، وتكشف عن مواطن الجمال والثراء الدلالي ومدى انفتاح الشاعر على هذا الدالّ الطبيعي. ومن خلال رصدنا لهذه المفردة ومشتقاتها في الديوان تبيّن لنا أنّ الشاعر ألحّ على توظيف "النهر" وقد أضفى عليه دلالات إيجابية ووأخرى سلبية سنكشف عنها في هذه الدراسة.

الكلمات الدليلية: الدلالة، الرمز، البحر، محمد البريكي، مجموعة "عُكّاز الرّيح".

Abstract:

The "river" is one of the most prominent natural symbols in which poets can find fertile meanings and connotations to express their ideas. River signifies symbolic energies of life, prosperity and fertility on the one hand, and alienation and grief on the other, depending on the context in which it occurs. One of the poets who found in this natural phenomenon expressive energies is the Emirati poet Mohammed Abdullah Al-Boreiki, who managed to use of this term in his poem entitled: Crutch of the Wind.In this research, where we have relied on the descriptive-analytic approach, We aims at exploring the expressionistic energies and the technical influences behind this natural symbol, and its derivatives in the poetry collection. we found that the poet insisted on the utilization of the "river" and he added positive and negative connotations that we will reveal in this study.

Keywords: meaning, symbol, river, Mohammed Al-Boreiki,"The wind crutch."

المقدمة:

يُعتبَر "النهر" بدلالاته المكثّفة ملهماً للشعراء المعاصرين فلا نكاد نعثر على ديوان شاعر يخلو من هذه المفردة. فنجد أحياناً يستخدم الشعراء مفردة "النهر" أو مشتقاتها، وأحياناً نجدهم يذكرون أسماء الأنهار في نتاجاتهم الشعرية، وتفاعلوا مع هذه المساحة الجغرافية التي اعتبرها البعض بمثابة الشريان الذي يجري في عروق الوطن، ويبث فيه الحياة والألق. وتفاعل الشعراء مع "النهر" لا يقتصر على العصر الحديث فقط بل نجد صداه في الشعر الجاهلي والأموي والعباسي أيضاً، وإن كانت الدلالات والرؤية تختلف. فهذا الاقبال نحو البيئة النهرية يدلّ على طاقاتها الدلالية وانفتاح الشعراء عليها. والشاعر **محمد عبدالله البريكي** من هؤلاء الشعر الذين أحسنوا توظيف هذه الظاهرة الطبيعية في نتاجهم، حيث تم ترشيحه محوراً لهذه الدراسة.

البريكي شاعر موهوب وله بصمة حميدة في الوسط الشعري الخليجي، استطاع أن يواكب الركب الحداثي من خلال انفتاحه على آليات التعبير والمظاهر الأسلوبية الحديثة. ومن خلال تفتيشنا في ديوانه "عكّاز الرّيح" وجدناه يركّز على استخدام مظاهر الطبيعة في شعره بما فيها النهر، حيث وجد في هذه المفردات طاقات دلاليّة مكثّفة تساعده على نقل أفكاره ورؤاه إلى المتلقي. المنهج الأسلوبي الذي اعتمدنا عليه في إعداد هذا البحث لا يقف عند احصاء "النهر" ورصده في ديوان الشاعر، بل سعينا جاهدين أن نقوم بنقد وتحليل هذه المفردة وما تحمله من

معانٍ ودلالات عميقة في السياق الذي ترد فيه، وحاولنا ربطها بالشبكة اللغوية وعلاقتها بسائر المفردات للكشف عن القيمة الفنية التي يتمتّع بها هذا العمل الأدبي.

أسئلة البحث:

– كيف تجلّى دال "النهر" في شعر البريكي؟

– ما هي الجوانب الرمزية والدلالية التي ينقلها "النهر" للمتلقي؟

خلفية البحث:

اهتمّ **حسين عطوان** (1982م) في دراسته الموسمة بـ "وصف النهر والبحر في الشعر العربي/ من العصر الجاهلي حتى العصر العباسي الثاني" بالصور الشائعة للبيئة البحرية والنهرية في العصر الجاهلي وتتبّع تطوّرها في العصرين الأموي والعباسي. وقد جاءت الدراسة في أربعة فصول؛ ففي الفصل الأول ركّز الباحث على العصر الجاهلي، وفي الفصل الثاني على العصر الأموي، وفي الفصل الثالث عالج العصر العباسي الأول، وفي الفصل الرابع والأخير عالج العصر العباسي الثاني. ومقال "موتيف النهر والبحر في شعر **يحيى السماوي** لـ "مرضيه آباد ورسول بلاوي" (2013م) الذي تمّ نشره في مجلة العلوم الإنسانية الدولية، العدد 20، ففي هذا البحث قام الباحثان برصد موتيفات تتعلّق بالبحر والنهر في شعر الشاعر العراقي المعاصر **يحيى السماوي**. وصدرَ بحث باللغة الفارسية في مجلة نقد الأدب العربي المعاصر الصادرة عن جامعة يزد للباحثين

صلاح الدين عبدي و**نسرين عباسي** (2015م)، وقد درسا فيه "موتيف النهر في شعر بدر شاكر السياب".

سيرة محمّد عبدالله البريكي:

محمّد عبدالله البريكي هو شاعر وإعلامي، ومدير بيت الشعر في الشارقة. فاز بالمركز الأوّل في مسابقة الشيخ سعيد بن زايد آل نهيان الشعرية عام 2005 وبالمركز الثاني في مهرجان الشعر العماني الثالث في عام 2009 بقصيدة أنثى البدايات، وهو صاحب عمود "عود الثقاب" في جريدة الخليج الإماراتية. وله دواوين شعرية منها، ديوان زايد، همس الخلود وسكون العاصفة، وساحة رقص من الشعر الشعبي، وديوان بيت آيل للسقوط وبدأت مع البحر وعكاز الريح.

مفهوم الرمز:

يُعدُّ الرمز من أبرز تقنيات الشعر الحديث وأهمّ وسائل تشكيل الصورة الشعريّة. و«هو ما يتيح لنا أن نتأمّل شيئاً آخر وراء النص، الرمز هو، قبل كل شيء، معنىً خفي وإيحاء، إنّه اللغة التي تبدأ حين تنتهي لغة القصيدة؛ أو هو القصيدة التي تتكوّن في وعيك بعد قراءة القصيدة. إنّه البرق الذي يتيح للوعي أن يستشف عالماً لا حدود له لذلك هو إضاءة للوجود المعتم، واندفاع صوب الجوهر»[1]. فـ «الرمز بمفهومه الشامل هو: ما يمكن أن يحلّ محلّ شيءٍ آخر في

[1] أدونيس: زمن الشعر، ط2، بيروت، دار العودة، 1978م، 160.

الدلالة عليه، ليس بطريقة المطابقة التامّة وإنّما بالإيحاء، أو بوجود علاقة عرضيّة، أو علاقةٍ متعارفٍ عليها»[1].

الرمز ينقل اللغة الشعرية من الدلالة المعجميّة إلى فضاءات متنوعة وإيحاءات جديدة، لأنّه «وليد رؤيا شفافة حدسية تضيء النص بلمعات خاطفة خلف الدلالات التي تتموضع في التجربة الشاعرة المنطوية على نفسها وراء تقنيات الرمز والتشفير»[2]. ومن أبرز الرموز التي استهوت الشعراء هي الرموز الطبيعية، بما فيها "النهر". يُعتبُر الرمز الطبيعي من أهمّ مظاهر الصورة الرمزية، وهو قادرٌ على تجسيد رؤية الشاعر والتعبير عنها. «الشاعر إذ يستمد رموزه من الطبيعة، يخلع عليها من عواطفه ويصبغ عليها من ذاته ما يجعلها تنفث إشعاعات وتموجات تضج بالإيحاءات. فالشاعر لاينظر إلى الطبيعة على أنّها مجرد شيء مادي منفصلاً عنه وإنّما يراها امتداداً لكيانه يتغذى من تجربته. زيادة على ما تضفيه الأبعاد النفسية على الرمز من خصوصية، يلعب السياق أيضاً دوراً أساسياً في إذكاء إيحائيتهُ»[3].

هذه الرموز الطبيعية تتّخذ رمزيتها من خلال السياق النصي التي تبرز فيه ولا يمكن للمفردة وحدها أن تتخطّى المعنى المعجمي ما لم تلامسها أصابع السياق

---

[2] خالد سليمان: في الشعر العربي الحر، إربد، منشورات جامعة اليرموك، 1987م،

[1] رجاء عيد: لغة الشعر، الاسكندرية، منشأة المعارف، 1995م، 11.

[2] اغبال رشيدة: «الرمز في شعر درويش»، مجلة علامات، العدد 19، د.ت، 56.

والعلاقات الشبكية مع سائر المفردات؛ فالكلمة تصبح مشحونة بالمعنى داخل النصص؛ والسياق الذي ترد فيه هذه الكلمة وحقلها الدلالي يكشفان عن المعنى المراد داخل النص؛ والحقل الدلالي لكلمةٍ ما هو «ما تمثّله كلّ الكلمات التي لها علاقة ما بتلك الكلمة سواء كانت علاقة ترادف أم تقابل الجزء من الكل أو الكل من الجزء»[1]. فكلّ كلمة تستمد دلالاتها من خلال العلاقات الشبكية مع سائر الكلمات الأخرى التي تشكّل معها حقلاً أو مجالاً دلالياً واحداً. ومفردة "النهر" أيضاً تأخذ دلالاتها الجديدة من خلال السياق والعلاقات اللغوية التي تتشكّل في النص.

النهر في اللغة والاصلاح:

جاء في لسان العرب: « النَّهْرُ والنَّهَرُ: واحد الأَنْهارِ، وفي المحكم: النَّهْرُ والنَّهَر من مجاري المياه، والجمع أَنْهارٌ ونُهُرٌ ونُهُورٌ. ونَهَرَ الماءُ إِذا جرى في الأَرض وجعل لنفسه نَهَراً. ونَهَرْتُ النَّهْرَ: حَفَرْتُه. ونَهَرَ النَّهْرَ يَنْهَرُهُ نَهْراً: أَجراه. واسْتَنْهَرَ النَّهْرَ إِذا أَخذ لِمَجْراهُ موضعاً مكيناً. وحفر البئر حتى نَهِرَ يَنْهَرُ أَي بلغ

[1] عبدالسلام المسدى: الأسلوبية والأسلوب، نحو بديل ألسني في نقد الأدب، تونس، الدار العربية للكتاب، 1977م، 150.

الماء، مشتق من النَّهْرِ. التهذيب: حفرت البئر حتى نَهِرْتُ فأَنا أَنْهَرُ أَي بلغتُ الماء. ونَهَر الماءُ إِذا جَرى في الأَرض وجعل لنفسه نَهْراً»[1].

النَّهْرُ، ويُحَرَّكُ: مَجْرَى الماءِ. ج: أنهارٌ ونُهُرٌ ونُهُورٌ وأَنْهُرٌ[2]. «والنَهْرُ والنَهَرُ: واحد الأَنْهارِ. وقد يعبّر بالواحد عن الجمع، كما في قوله تعالى: "في جَنَّاتٍ ونَهَرٍ"، أي أنهارٍ. ونَهَرْتُ النهرَ: حفرتُهُ. ونَهَرَ الماءُ، إذا جرى في الأرض وجعل لنفسه نَهْراً»[3].

والنهر في الاصطلاح هو «مجرى مائي واسع ذو ضفتين يجري فيه الماء العذب الناتج عن هطول الأمطار أو المياه النابعة من عيون الأرض أو من مسطحات مائية كالبحيرات، والأنهار هي أكثر العوامل الجيومورفية إسهاماً في تشكيل سطح الأرض، ويرجع هذا إلى أنّ أثرها يظهر في كل مكان على وجه الأرض سواء في المناطق الغزيرة الأمطار، أو في الجهات الباردة التي لا تسقط فيها الأمطار، أو في المناطق الصحراوية الشديدة الجفاف»[4].

---

[1] جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ج1، بيروت، دار احياء التراث العربي، ط1، 1408هـ، مادة نهر.

[2] الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ج1، القاهرة، المطبعة المصرية، ط3، 1993م، مادة نهر.

[3] إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، ج 2، بيروت، دار العلم للملايين، ١٣٩٩هـ، مادة نهر.

[4] نصري ذياب خاطر، الأردن، عمان، الجنادرية للنشر والتوزيع، 2011م، 25.

النهر في القرآن الكريم:

بعد رصد لفظة (الأنهار) في القرآن الكريم تبيّن لنا أنّها جاءت بصيغة المفرد والجمع في (44) آية؛ فجاءت بلفظ المفرد في موضعين، الأوّل في سورة (الكهف/ 33): ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم منهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا﴾، والثاني في سورة (القمر/ 54): ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾. وجاءت بلفظ الجمع المنكر في موضع واحد من سورة (محمد/ 15): ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ وقد تكررت اللفظ في هذه الآية أربع مرات.

أمّا في بقية المواضع أي في (41) آية فقد جاءت بصيغة الجمع المعرّف ضمن السياق القرآني، على سبيل المثال نذكر سورة (البقرة/ 25): ﴿بَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾؛ وفي سورة (آل عمران/136): ﴿أُولئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾؛ وفي سورة (الأعراف/ 43): ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾.

وتكرار هذه الظاهرة الطبيعية في القرآن الكريم بهذه الكثافة تدلّ على أهمّتها في الكون ومكانتها الجليلة في الحياة. وطالما تقترن هذه المفردة في القرآن الكريم بالنعم الألهية والبشارة والخير.

رمزية النهر في شعر البريكي:

يبدو لنا أنّ **البريكي** شاعراً مولعاً بالنهر، فقد أكثر من استخدام هذه الظاهرة الطبيعية ومشتقاتها لكي يعبّر عمّا في خلده بلغة جزلة مائية. ومن خلال عمليّة الاحصاء التي قمنا بها، توصّلنا إلى نتيجة مفادها أنّ النهر له تداعياتٌ وتجلّياتٌ كثيرة في لغة البريكي التصويرية وقد جاءت في سياقات متنوّعة، فهو مصدر للارتواء والنماء والخصب، ورمز للحياة والحيوية والنشاط والعطاء كما يظهر لنا أحياناً رمزاً للاغتراب والاستلاب والحزن والشقاء.

مصدر الارتواء والنماء:

النهر يُعتبَر من أهمّ مصادر الريّ والنماء في الطبيعة فماءه صالح للشرب خلافاً للبحر المالح. دائماً تكون الحياة مزدهرة جنب النهر، وهو بمثابة الشريان الذي يجرى في جسد الطبيعة ويبعث فيها الروح والألق والحياة. وقد وجد الشعراء في هذا النهر الجاري مصدراً من مصادر النماء حيث يوحي بمعاني الحياة، والارتواء الحسّي والروحي، وأسباب الخصب والتجدد. يقول **البريكي**:

لأنّي إذا ما صعدتُ الوصالَ

فلن آخُذَ الإذنَ من سُلّمي

سأفتحُ للنهرِ دربَ النماء

ليُزهِرَ وردُك حولَ فمي[1]

ففي هذا المقبوس نرى مفردة النهر ترتبط بشبكة لغوية كلّها توحي بالارتواء «النهر؛ النماء؛ يُزهر؛ الفم». فالشاعر لكي تزدهر الورود حول هذا الفم يفتح للنهر درب النماء والارتواء. وكل هذه المفردات تعود إلى بؤرة مفتاحية هي مفردة "الوصال". والغريب دائما نجد الشاعر ظامئاً والأنهار تحيط به من كل جانب:

مصيبتُنا لا ندلُّ الطريقَ

أنا .. أنت.. والحزنُ.. والكبرياء

ومن خلفنا كان ثمّةَ نهرٌ

لماذا عطشنا وفي النهر ماء؟

لقد جرّحَ الظمأُ الأمنيات

فكيف يعودُ إليّ الرواء؟ [2]

وبالرغم من تواجد هذا النهر من خلف الشاعر إلّا أنّه يظهر لنا ظامئاً وقد أكّد الشاعر قوله أن هذا النهر فيه ماء «وفي النهر ماء». وقد اشتدّ هذا العطش حتى استبدّ بالأمنيات، فأخذ يبحث مستفسراً عن طريقةٍ ما يعود فيها إلى الرواء.

[1] محمد عبدالله البريكي، عُكّاز الرّيح، الشارقة، إصدارات دائرة الثقافة، حكومة الشارقة، 2019م، 107.

[2] المصدر نفسه، ص44.

ولا يخفى من خلال هذا السياق، بالرغم من عطش الشاعر إلّا أن النهر يبقى محتفظاً بدلالاته في النماء والارتواء. وقد نجد هذه الثيمة في المقبوس التالي:

وأطلقتُ من عشّ حرفي طيوراً

فعاشت على ظمأٍ في الفلاة

ظمئتُ ونهرُ الحياة بقربي

كمن ماتَ قُربَ عيونِ الفرات [1]

فقد أطلق الشاعر من عشّ حرفه طيوراً لكنها عاشت ظامئة في الفلوات، وهو الآخر أيضاً أصبح ظامئاً بالرغم من قربه إلى نهر الحياة. ومن خلال هذه الشواهد يبدو لنا الشاعر باحثاً عن حقيقة ترويه في الحياة وتعود له طراوته.

مصدر الحياة:

لفظة "النهر" عند الشاعر ليست مفردة تعني عنصراً من عناصر الطبيعة بل تحوّلت في ديوان الشاعر إلى لفظة سحريّة دالّة، فـ **البريكي** شحن هذه المفردة بطاقات دلاليّة جديدة فأصبح معادلاً موضوعيّاً للكثير من الثيمات ومنها الحياة. إنّ النهر عند هذا الشاعر بما هو أصل الحياة يذكّرنا بما وردَ في طيّات النّص القرآني الكريم: ﴿جَعَلْنا مِنَ الْماءِ كلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[2]. يقول **البريكي**:

---

[1] المصدر نفسه، 170.

[2] الأنبياء / 30.

وهنا يجتمعُ الوجدانُ

ليزرعَ من هذا الماءِ

حياةً تنبضُ في شريانِ

الأرض

ويعرفُها كلُّ الكونِ

وجاءَ العاشقُ يخطِبُها

من هذا النهرِ [1]

فالنهر – وهو في صورته الحسّية – سببُ الرّيّ، وإكسير الحياة والوجود، وقد استخدمه الشاعر بهذا المعني أيضاً في النص التالي:

تجلّى لك الغيمُ حتى استراحَ

فلا تحرِجيهِ ولا تكتُمي

وفاضَ بك النهرُ

نحوَ الحياةِ

فماذا سيُنبيتُ هذا الطّمِي؟ [2]

---

[1] البريكي، عُكّاز الرّيح، 208 و209.

[2] المصدر نفسه: 100 و101.

فنرى الشاعر انتقل من الغيم وتجلياته إلى فيضان النهر (وفاض بك النهر نحو الحياة)، فهذا الفيضان للنهر أصبح في هذا المقبوس معادلاً موضوعيّاً للحياة، وأصبحت حركة فيضانه متّجهة نحو الحياة. وفي النص التالي يقول **البريكي**:

وأطلقتُ من عشّ حرفي طيوراً

فعاشت على ظمأٍ في الفلاة

ظمئتُ ونهرُ الحياة بقربي

كمن ماتَ قُربَ عيونِ الفرات [1]

ولو أنّ الشاعر يريد أن يبيّن شدّة عطشه وهو قرب النهر، لكنّ اضافة "النهر" لمفردة "الحياة" في هذا السياق تدلّ على الاختصاص، فهذا النهر الذي بقرب الشاعر هو أكسير الحياة والوجود. وقد جاء **البريكي** بتسمية لنهر معروف وهو نهر "الفرات" لحضوره في مخيلة الشاعر خاصة عندما يكون سياق الحديث حول الحياة. فنهر الفرات يعتبَر واحداً من أهمّ الأنهار التي تجري في بلد عربي، وفي جريانه يضخّ الحياة في جسد الطبيعة التي يمر منها.

سلامٌ على القلبِ

حين يعودُ إلى الوطن الأمّ

وهو يغنّي:

---

[1] المصدر نفسه، 170.

حياتي بدونِك

كالنهرِ

من

دونِ

ماء[1]

تصبح الحياة دون حبيب / وطن، كالنهر دون ماء، يحيط بها الجفاف والخواء من كلّ جهة. النهر هو الماء أولاً ثم المجرى الفاصل بين ضفتين، ولذلك عندما يجف العنصر الأوّل يصبح النهر خندقاً وتنقلب رمزيته انقلاباً كاملاً في توازٍ بين الواقع والرمز. فليس النهر نهراً عندما تجف المياه فيه. وقد استوعب هذا الأمر **محمد البريكي** جيّداً وأصاب في تعبيره.

المرح والنشاط:

الأنهار من أجمل الأماكن التي يشعر فيها الانسان بالمرح والنشاط فحركة المياه دائماً تبعث السرور والمرح في النفوس، وذلك لأنّ الانسان يشعر بسعادة تعتري وجوده في الأماكن التي يتواجد فيها الماء. لهذا طالما نجد المنتزهات العامّة في ضفاف الأنهار، فتستهوي الأحباب والعوائل وتجذبهم نحوها. والشاعر الإماراتي **محمد البريكي** جسّد هذه الحيوية والمرح في النهر:

[1] المصدر نفسه، 223.

وتمنحني كثيراً

من كثيرٍ

لأصعَدَ قمةَ المعنى

فتيّا

فلي نهرٌ من الألحانِ

يشدو

وكان بدهشةِ المعنى

حَفيّا[1]

سياق هذا النص يوحي بالنشاط والمرح منذ بدايته (وتمنحي كثيراً ....) فقد اجتمعت عدّة مفردات تشكّل في تآلفها مرحاً وهي المنح الكثير والصعود للقمة والفتوّة؛ ثم نصل إلى مفردة "النهر" وما تحمله معها من الطرب والنشاط. وهذا النهر هو نهر من الألحان يشدو أجمل وأعذب الأغاني للوصول إلى دهشة المعنى.

[1] المصدر نفسه: 225 و 226.

الكرم والعطاء:

لقد شبّه الكثير من الشعراء الجاهليين ممدوحيهم في كثرة النوال والعطاء بالنهر في حال فيضانه، وامتلائه بالماء[1]. فالنهر فيه المياه العذبة الصالحة للشرب والزراعة، وفيه الأسماك والخيرات، وتوليد الطاقة الكهربائية، ويُعدّ وسيلة من وسائل الحركة والتنقّل من منطقة إلى منطقة أخرى، وبيئة مناسبة لحياة الكثير من الكائنات الحيّة. وقد سخّر الانسان هذه النعمة الطبيعية في حياته واستفاد من خيراتها. وقد أضاف الشاعر محمد البريكي هذا النهر إلى العطاء قائلاً:

أسامِحُ

من أجلِ هذا الترابِ

لأنّي إذا لم أسامحك

كيف سنبني بأحقادنا وطناً

يتدفّقُ بين حناياهُ

نهرُ العطاء[2]

[1] حسين عطوان، وصف النهر والبحر في الشعر العربي/ من العصر الجاهلي حتى العصر العباسي الثاني، بيروت، دار الجيل، ط 2، 1982م، 33 و34.

[2] البريكي، عُكّاز الرّيح، 190.

لقد أضاف **البريكي** مفردة "النهر" بكلّ ما تحمله من دلالات إلى مفردة "العطاء" إيماناً منه بطاقات هذا النهر وعطاياه للانسان. وسوف تتجلّى لنا جمالية هذه الاضافة إذا ما ركّزنا في سياق النص واطّلعنا على روح التسامح التي يتمتّع بها الشاعر، فيقول إنني أسامح من أجل تراب هذا الوطن وطمعاً في بناءه وازدهاره، فلا يمكن للوطن أن يُبنَى وبين أبناءه كراهية وحقد. فيرى الشاعر لا مكانة للحقد والكراهية في وطنٍ يتدفّق بين حناياه نهرٌ من الخير والعطاء.

الاغتراب والاستلاب:

النهر الذي هو سبب الخصب والإرتواء وإكسير الحياة والوجود، قد يرمز في الشعر إلى دلالات سلبية تدل على الجفاف والموت والاستلاب. عرف الشعراء البيئة النهرية منذ أقدم العصور، فقد تجلّت هذه البيئة في نتاجاتهم الشعرية ومنهم من كان يركّز في وصفه للنهر على جانب الترحال والتنقّل، حيث «الرحلة النهرية التي وصفوها لم تكن تجارية، ولا تاريخية، وإنّما كانت تصويراً لارتحال الظّعُن من مكان إلى مكان في نهر النيل أو أنهار العراق»[1]. وفي الشعر العربي الحديث يفقد النهر أحياناً دلالاته الإيجابية ليحمل دلالات سلبية توحي بالابتعاد والاغتراب:

لماذا أفتّشُ بعدَ رحيل النجومِ

عليك

[1] عطوان، وصف النهر والبحر في الشعر العربي/ من العصر الجاهلي حتى العصر العباسي الثاني، 42.

ومن أنت

حينَ تصبينَ قهوةَ فتنتك

الفاخرة

لماذا عليَّ إذا ودّعَ النهرُ حرفي

وسلّمني للمصبّ البعيد[1]

فهنا يودّع النهر حرف الشاعر ويسلّمه إلى مصبّ بعيد، وقد أخذ النهر دلالته السلبيّة هذه من قدرته على الحركة والتنقّل والابتعاد. وفي النص التالي أيضاً يجسّد لنا الشاعر عبر حركة النهر التنقليّة أبرز مظاهر الارتحال والاغتراب:

يا نهرُ ويا نهرُ ويا نهرُ

ويا مركبُ .. يا مركبُ

أسكتني المركبُ

وهو يسيرُ على الموجِ

ويزحفُ نحوَ الشطّ

ليبدأ رحلتَهُ

ويقولَ:

[1] البريكي، عُكّاز الرّيح، 72.

دعِ الشكوى

ما فاتَ محالٌ أن يرتدَّ بهِ

الصوتُ

نظرتُ سريعاً للنهرِ

وقال:

هنا يجتمعُ الإنسانُ

ليبدأ رحلتَهُ الغيبيّة مثلَ الماءِ

يودّعُ منبعَهُ [1]

يبدأ الشاعر بمناجاة النهر، حيث لم يُعد هنا مجرد ظاهرة طبيعية بل يجسّده الشاعر على هيئة شخص فيخاطبه لكن هذا الخطاب يبقى دون جدوى. بعد خطاب النهر يوجّه خطابه إلى المركب والذي وصفه الشاعر بصفات كلّها توحي بالرحيل (يسير على الموج؛ يزحف نحو الشط؛ يبدأ رحلته)، ويقول للشاعر دع عنك هذه الشكوى فما فات محال أن يرجع. ثم أراد أن يتدارك الأمر فنظر إلى النهر سريعاً، لكن جواب النهر أيضاً لم يكن بأحسن من جواب المركب فقد عزم كلاهما على الرحيل.

[1] المصدر نفسه: 206 و207.

الشعور بالحزن والدمار:

الحزن ظاهرة شائعة في المجتمع سببها الشعور بالبؤس والعجز والهمّ والكآبة واليأس. وهذا الشعور يقعد بالانسان ويجعله عاجزاً منطوياً قليل النشاط. يُعتبَر الحزن من أبرز الثيمات التي ظهرت في الشعر العربي الحديث نتيجة للظروف المأساوية في البلدان العربية من حروب واحتلالات ونزاعات داخلية وفيضانات تؤدّي إلى الخراب والدمار في البلاد. وقد استخدم **البريكي** "النهر" للدلالة على هذا البُعد الدلالي:

يا نهرُ

لماذا يغسلُ ماؤُك فرحةَ أمّ ثكلى

ولماذا تهوي أن يأتي الناسُ إليك

وقوفاً بالحزنِ

على الأموت[1]

يبدأ الشاعر في هذا المقبوس بخطاب النهر (يا نهر) والسؤال منه بـ (لماذا)، ليستفسر عن سبب هذا الحزن الذي أنتجه النهر، فماءه الذي من المفروض أن يؤدّي إلى الحياة والبعث أصبح هنا غسيلاً لفرحة الأمّ الثكلى، كما أصبح يهوى أن تقف عليه الناس حزينة. فكما يُلاحَظ فقَدَ "النهر" دلالاته الإيجابية

[1] المصدر نفسه، 205.

وأصبح دالّاً سلبيّاً يوحى بالحزن والموت والدمار وذلك حسب السياق الذي ورد فيه والشبكة اللغوية التي أحاطت به. وفي النص التالي يقول الشاعر:

على كتفيّ الأرضُ تحملُ وزرَها

ويحملُني ضلعٌ مكسّرا

ولكنّ دمعي كلما طحتُ قال لي:

توكأ وخذ جرحي يُسطّرُ ما جرى

أرى غيمةً حُبلى تئنُّ وحينما

تُصفّقُ كفي تملأُ البوحَ أنُهرا

متى ما يُحِسُّ الحرفُ أنّ جنونَهُ

تطوفُ به ريحٌ .. تشظّى وأمطرا[1]

فنرى هنا الشبكة اللغوية جلّها توحي بالحزن والانكسار (تحمل وزرها؛ ضلع مكسّر؛ دمعي؛ كلما طحتُ؛ جرحي؛ غيمة تئن؛ جنون الحرف؛ تشظّى). اقتران النهر مع مفردة الريح أيضاً يوحي أحياناً بمظاهر سلبية:

وأمي تقولُ:

إذا ما نظرتَ إلى شفةٍ في الفناجينِ

[1] المصدر نفسه: 7 و8.

لا تقترب من سنابك لهوِك

إلا إذا كنتُ خارجَ قلبك

فاقطف من الوردِ

ما لا يُجَرّحُهُ

وافتحِ السمعَ

كي تستطيعَ

على دمعتينِ تُسلّمُ صدرَك للريحِ

أن تعبُرَ النهرَ [1]

هبوب الريح وازدياد قوّته يؤدي إلى اضطراب النهر وتحرُّك أمواجه، وقد يؤدّي أحياناً إلى التدمير والقلق. وفي البيتين التاليين يقول **البريكي:**

مكبّلاً تحتَ سقفِ الغيمِ أحرسُهُ

لكنَّ دمعتَهُ ما بلّلَت أسفي

أُجَرِّحُ النهرُ في عينيَّ محتفلاً

بدمعةٍ توقِظُ الذكرى من السَّعَفِ[2]

---

[1] المصدر نفسه، 217.

[2] المصدر نفسه، 148.

وفي هذا السياق يتبيّن لنا مدى الحزن الذي تعرّض له الشاعر، فنراه يستخدم معجماً مفرداتياً حزيناً يؤدّي إلى القلق والبكاء.

النتائج:

من خلال هذه الدراسة توصّلنا إلى نتائج يمكن لنا تلخيصها في ما يلي:

– **عبدالله البريكي** لم يتغنَ بالنهر وجماله كي ينقل أحاسيسه وشعوره وتفاعله مع هذه الظاهرة الطبيعية فحسب، بل وجد في هذا النهر مادة تعبيرية قادرة على إيصال أفكاره إلى القارئ.

– الاكثار من استخدام هذه المفردة لم تخلّ بالسياق ولم تؤدِّ إلى التكرار الممل، بل في كلّ مرة نجد الشاعر يستخدمها بدلالة ورؤية جديدة؛ وذلك حسب السياق التي ترد فيه هذه المفردات.

– مفردة "النهر" في شعر البريكي تتجاوز المألوف والدلالة المعجميّة لتحمل معها دلالات رمزية جديدة بعضها إيجابية والبعض الآخر سلبيها.

– من أهمّ الدلالات الإيجابية التي يوحي بها النهر في شعر **محمد البريكي** هي الارتواء والنماء، والمرح والنشاط، والحيوية، والكرم والعطاء.

– النهر الذي هو سبب الخصب والإرتواء وإكسير الحياة والوجود، قد يحمل دلالات سلبية تدلّ على الاغتراب والاستلاب، والحزن والدمار، والجفاف والخواء.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم

- ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، ج1، بيروت، دار احياء التراث العربي، ط1، 1408هـ.

- أدونيس: زمن الشعر، ط2، بيروت، دار العودة، 1978م.

- البريكي، محمد عبدالله، 2019م، عُكّاز الرّيح، الشارقة، إصدارات دائرة الثقافة، حكومة الشارقة.

- الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، ج 2، بيروت، دار العلم للملايين، ١٣٩٩هـ.

- خاطر، نصري ذياب، الأردن، عمان، الجنادرية للنشر والتوزيع، 2011م.

- رشيدة، اغبال: «الرمز في شعر درويش»، مجلة علامات، العدد 19، د.ت.

- سليمان، خالد: في الشعر العربي الحر، إربد، منشورات جامعة اليرموك، 1987م.

- عطوان، حسين: وصف النهر والبحر في الشعر العربي/ من العصر الجاهلي حتى العصر العباسي الثاني، بيروت، دار الجيل، ط 2، 1982م.

- عيد، رجاء: لغة الشعر، الاسكندرية، منشأة المعارف، 1995م.

– الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ج1، القاهرة، المطبعة المصرية، ط3، 1993م.

– المسدى، عبدالسلام: الأسلوبية و الأسلوب، نحو بديل ألسني في نقد الأدب، تونس، الدار العربية للكتاب، 1977م.